تمهيد

يُعدُّ هذا الموضوع واحدًا من أكثر الموضوعات التي تناولتها مقالات نشرت في صحف ومجلات تهتم بشؤون تعليم الموهوبين؛ وكل كتيب أو كتاب مدرسي عن تعليم الموهوبين يكرس فصلًا أو أكثر لهذا الموضوع؛ إنه الشغل الشاغل لأولياء الأمور، وهو الموضوع الذي ينفقون عليه المال بصورة متزايدة أملًا في إكساب أطفالهم ميزات تجعلهم قادرين على المنافسة.

في الولايات المتحدة، هناك بعض الولايات التي تلتزم بهذا النوع من التعليم، بينما يكرس له في ولايات أخرى أكبر بند في الميزانية، ومع ذلك ما زال هذا الموضوع مثيرًا للجدل، وفي أوساط كثيرة، هناك سوء فهم لهذا الموضوع أكثر من أي وقت مضى.

ولكن، ما التعرُّف إلى الطلبة الموهوبين بالضبط؟

لقد توصّل كثيرون منا ممّن عملوا على مساعدة المدارس في تطوير سياسات تعرُّف أفضل وأكثر عدلًا، إلى استنتاجات مفادها أنه من غير المرجح أن تنجح هذه الجهود طالما ظلت ترتبط بكلمة الموهوبين.

إن سؤال: «من هم الأطفال الموهوبون في هذه المدرسة»؟ يؤدي إلى سياسات وممارسات مغايرة تمامًا لسؤال: «من هم الأطفال الذين لا يتناغمون حاليًا مع مستوى التعليم الذي يتلقونه»؟ أو حتى سؤال: «من هم الأطفال الذين يظهرون مواهب في هذا المجال ويمكن أن نساعدهم على التطور»؟ وعلى الرغم من أن كثيرين اعترضوا على السياسات الحالية، إلا أن قليلين منهم الذين طرحوا مبادئ توجيهية محددة لسياسات جديدة، وقد جاء هذا الكتاب كي يجسر تلك الهوة.

يبدأ المؤلفون بإعلان جريء يفيد بأن نهجهم يختلف جذريًّا عن تعليم الموهوبين كما هو ممارس حاليًا، لدرجة أنهم أعطوه اسمًا مختلفًا هو (الموضوعات الأكاديمية المتقدمة).

إن تحديد السمات المعرفية، والتحفيزية، والشخصية التي قد تميز الموهوبين عن غيرهم أمر متروك لعلماء النفس لدراسته ومناقشته؛ أما بالنسبة للممارسين، فيتعيّن أن يشير التحديد إلى «نظام رسمي يهدف إلى تعرّف الطلاب الذين لديهم احتياجات لا يلبّيها

منهـاج الدراسـة النموذجـي لمدرسـة أو منطقة تعليميـة معيّنة» (ص15). وقـد جرى وصف الأهداف والعمليات الخاصة التعرُّف إلى الطلاب الذين يحتاجون إلى برامج أكاديمية متقدمة بمزيد من التفصيل في الفصلين (2 و3).

إن التعرُّف هو التنبؤ بأن الطالب سوف ينجح (أو على الأقل لن يتأذى) في برنامج تعليمي معيّـن، وهـذا صحيح، ليـس فقـط فيما يتعلق بالمدرسـة، ولكن أيضًا بالنسـبة إلـى البرنامج الأكاديمي الخاص في تلك المدرسة.

قـد يسـمح للطـلاب، مـن جهـة، بالتحديـد الذاتي عبـر الانخراط فـي صف دراسـي أو المشـاركة في برنامج؛ وفي الجانب الآخر، قد يشـترط النظام (أو يتطلب) إخضاع الطلاب إلى تقويم من خطوات أو قياسات متعددة من أجل إما منع الطلاب غير المؤهلين أو تشجيع المؤهلين، وغير الراغبين، في المشـاركة في البرنامج، لكنه بالتأكيد لا يتعلق بفرض وصف أكثر ديمومة مثل وصف الموهوبين.

وقـد ورد وصـف تفصيلـي للعواقـب المترتبة على مناهـج التعليم وتنظيم المدارس في الفصول المتعاقبة المكرسـة لإجمالي التجميع المدرسـي العنقودي (الفصل 4)، والتسـريع (الفصل 5)، والإثراء (الفصل 6). ثم تضم الثلاثة فصول النهائية مراجعة لعملية التعرُّف، وتعالج هذه المرة القضايا الشائكة التي غالبًا ما يتم تجاهلها أو يُساء التعامل معها.

ويتنـاول الفصـل (7) التمثيـل الناقص حيث يشـتمل علـى توجيهات محـددة عن كيفية استعمال بيانات القياس لتحقيق تمثيل أفضل للمجموعات ناقصة التمثيل، وهي مشكلة تصبح سهلة عندما يكون الهدف هو تحديد من هم غير المتوائمين أو الذين يمكن أن يكونوا كذلك، وليـس لإضفاء وصف أو تسـمية دائمة. وفي الفصل (8)، ترد الأخطاء الشـائعة في سياسات الكشف عن الموهوبين، ويعرض الفصل (9) مقدمة غير فنية لإجراءات الجمع بين مقاييس متعـددة، وهـو موضوع أسـيء فهمـه، وهو في الوقـت ذاته أمر بالـغ الأهمية لنجـاح أي نظام للتعرُّف إلى الموهوبين يعتمد على أكثر من مجموعة بيانات واحدة لكل طالب.

هذا الكتاب سوف يفرح بعض الناس، ويزعج آخرين، ولكنه يتحدى الجميع. وهو يطرح رؤية راديكالية لكنها لازمة؛ رؤية لما قد يبدو عليه تعليم الموهوبين من دون طلاب موهوبين.

ديفيد لوهمان David Lohman
جامعة ولاية أيوا
أبريل/ نيسان 2013